كان الله هو أوَّل من ألَّف كتاباً عن العائلة قبل نحو 3500 سنة عن طريق عبده "موسى". وقد لا نُخطئ إن أسمينا ذلك الكتاب "*الوثيقة العُظمى للبيت المسيحي*". فبعد أن نجح موسى في تحرير الشعب العبراني من عبوديته في مصر، كان ينبغي عليه أن يقود نحو 000ر600 عائلة، وأن يُخلِّص هذه العائلات من حياة الوثنية، وأن يُرسِّخها في كلمة الله. وهكذا، فقد كان الاحتياج عظيماً بالفعل! والمدهش في الأمر هو أنَّ خطة العمل كانت بسيطة؛ فهي خطَّة "العائلة المُمتلئة بالكلمة!" هل تعلم ما هو الشيء المُحدَّد الذي أمر الله عبده موسى أن يقوم بتوصيله لشعبه؟ لقد أعطاه السِرَّ الذي سيساعده على تشجيع العائلات العبرانية على الاستمرار في السير وراء إلههم:

"وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ ***عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا*** *عَلَى أَوْلاَدِكَ،* ***وَتَكَلَّمْ بِهَا*** *حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ،* ***وَارْبُطْهَا*** *عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ،* ***وَلْتَكُنْ*** *عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ،* ***وَاكْتُبْهَا*** *عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ." (تثنية 6: 6-9).*

ما هي النقطة الأكثر أهمية في هذه الكلمات التي وجَّهها الله لعبده موسى؟ إنها دعوته له بأن تكون الزيجات، والعائلات، والبيوت مُمتلئة بالكلمة! وقد تكرَّرت هذه الدعوة على فم الرسول بولس في العهد الجديد - وفي رأيي أنها تُمثِّل وصايا الله الدائمة لنا باعتبارنا خليقته. وما من شكٍّ أنَّ إطاعتنا لدعوة الله لنا هي المفتاح الوحيد الذي سيفتح باب النجاح على مِصراعيه أمام الناس لزيجات ناجحة، وعائلات سعيدة، وبيوت مُفعمة بالفرح. لكن للأسف الشديد، فإنَّ هذه الفكرة غريبة تماماً بالنسبة لغالبية المؤمنين في هذا الجيل.

ما الذي يحدث حينما نتجاهل كلمة الله، ونُهملها، ولا نُبالي بها؟ ربما يكفي أن تقوم بزيارة لأحد الأسواق أو المتاجر الكُبرى، أو أن تذهب لمشاهدة أحد الأنشطة الرياضية لكي تُدرك حقيقة ما يجري. فنحن نرى من حولنا جيلاً مُحبَطاً ومُنهكاً من الآباء والأمهات العاجزين عن السيطرة على أبنائهم. كما أننا نرى في وسطنا جيلاً من الأبناء التائهين، والمُدلَّلين، والذين يفتقرون إلى حدٍّ كبيرٍ للانضباط والتأديب. لذلك، لا عَجَب أن نرى مشاهد قِلَّة الاحترام والأنانية في كل مكان من حولنا.

والأمر المؤسف أكثر من هذا كُلِّه هو أنَّ مظاهر الحياة الأنانية أصبحت سائدة ومنتشرة في أحد أهم الأماكن التي يُفترض أن تخلو من مثل هذا الأمر ألا وهي كنيسة المسيح. لذلك، فإنني أضمُّ صوتي إلى أصوات جميع الأشخاص الذين أحبّوا الله وكلمته في كل الأجيال السابقة، وأدعو العائلة، والبيت، والمؤمنين عموماً للرجوع إلى حياةٍ مُمتلئةٍ بالكلمة!

ما هي العائلة المُمتلئة بالكلمة؟ إنها مجموعة من الأفراد - بدءاً بالأب والأم - الذين يسعون لحياة مُمتلئة بكلمة الله! وقد لخَّص الرسول بولس هذا الحقّ الثمين وهذه الحاجة المُلحَّة حينما كتب قائلاً: "*لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنًى ...*" (كولوسي 3: 16أ).

- **"لِتَسْكُنْ"** - أي أفسِحوا المجال لكلمة الله أن تفيض فيكم، أو أن تتدفّق إليكم، أو أن تتخلّل حياتكم، أو أن تنفذ إلى أعماقكم.
- **"فيكُم"** - أي في عقولكم، وأفكاركم، وحياتكم، وخططكم، وعالمكم (زواجكم، وعائلتكم، وبيتكم، وعملكم).
- **"كَلِمَةُ الْمَسِيحِ"** – قد تكون هذه كلمة، أو آية، أو أصحاح، أو سفر بأكمله.
- **"بِغِنىً"** - أي بانسياب، أو بفيض، أو بصورة تُشبه هطول الأمطار الغزيرة.

فحينما نُفسح المجال لآية أو أصحاح أو سِفر من كلمة الله بأن ينفذ إلى حياتنا، فسوف تتخلّل كلمة الله أعماق نفوسنا وتعمل على تغيير كل جانب من جوانب حياتنا (زواجنا، وبيتنا، وكل شيء!) **هذه هي الحياة المُمتلئة بالكلمة!** (وهي أيضاً حياة مُمتلئة بالروح كما تؤكّد الآية أفسس 5: 18). وهكذا، فإنَّ هذه الطريقة في العيش هي الأساس الذي يقوم عليه هذا الكتاب.

إن كنا نريد أن نحيا حياةً مُمتلئةً بالكلمة فهذا يتطلب منا: أن ندعو الله للتكلم، وأن نطلب مشورته ومعونته الإلهية، وأن نسعى إلى حِكمته الصالحة وتدخُّله الخارق للطبيعة، وأن نتجاوب مع عمل الروح القُدس. كما أنه يعني أن نجعل أنفسنا على اتصال دائم بمصدر الحياة (الله)، وأن نستخدم الخريطة التي قدَّمها لنا، وأن نتبع الإرشادات المُدوَّنة في كتابه، وأن نُصغي إلى التعليمات التي أعطانا إيَّاها للاسترشاد بها في حياتنا اليومية. وهكذا، فإنَّ الحياة المُمتلئة بالكلمة تعني أن ندعو الله إلى التحدث، وأن نُرحِّب بمُساعدته، وأن نسعى لمعرفة مشيئته، وأن نطلب مشورته، وأن نحصل على معونته، وأن نُظهر تبجيلنا له، وأن نُشاركه في أدوارنا كآباء وأمهات، ***وأن نُطلق له العنان في كل جانبٍ من جوانب حياتنا.***

من المؤكد أنَّ هذا يجعلنا نُدرك أنَّ زيجاتنا وعائلاتنا إمَّا أن تسير بطريقتنا نحن (بمعزل عن كلمة الله)، أو بطريقته هو (بحسب إرشاد كلمة الله ومعونة روحه القدّوس). لهذا، يجب علينا أن نبدأ كل يوم من أيام حياتنا بإخلاء ذواتنا، وقراءة كلمة الله المقدَّسة، وطلب وجهه، والاستعانة بروحه لكي يعمل فينا ومن خلالنا بطريقة تُمجِّد المسيح.

لكن ما هي نتيجة مثل هذه الحياة ومثل هذا البيت؟ في الحقيقة أنَّ هذا الكتاب يتمحور حول الإجابات عن هذا السؤال. كما أنَّ كلمة الله تخبرنا بالحقائق الأربع الرائعة التالية عن الأشخاص الذين يُفسحون المجال لكلمة الله بأن تخترق حياتهم وتتغلغل فيها:

- الباب الأول: **ما من مُكافأةٍ أعظم** من حياة مُمتلئة بالكلمة (1 تسالونيكي 2: 19-20).
- الباب الثاني: **ما من شَراكةٍ أعظم** من زواج مُمتلئ بالكلمة (1 بطرس 3: 1-7).
- الباب الثالث: **ما من فرحٍ أعظم** من عائلة مُمتلئة بالكلمة (3 يوحنا 4).
- الباب الرابع: **ما من قوَّة أعظم** من حياة صلاة مُمتلئة بالكلمة (يعقوب 4: 2ب).

أرجو أن لا تعتقد، صديقي القارئ، أنني اعتمدت في تأليفي لهذا الكتاب عن العائلة على خبرتي الشخصية - رغم أنني راعٍ لإحدى الكنائس، وزوج لزوجة رائعة وجميلة، وأب لثمانية أبناء رائعين. فحيث أنَّ الخبرات والتجارب تختلف من شخص لآخر، ومن ثقافة لأخرى، فلا ينبغي أن تكون هذه الخبرات الحياتيَّة هي أساس ما نؤمن به. لذلك، فإنَّ مرجعي الرئيسي هو إله

الكلمة، والإرشادات الكتابيَّة التي أعطانا الله إياها لكي نتمتَّع بزواج ناجح بحسب مشيئته لنا، ولكي نُنشئ عائلات ونؤسس بيوتاً تقيَّةً مُفعمة بالفرح.

يُعتبر هذا الكتاب تحدياً لك لكي تكون جاداً في علاقتك مع الرب، ولكي تُسلِّم حياتك دون أي تحفظات للمسيح ولكلمته - من أجله، ومن أجل ميراثه الثمين (مزمور 127: 3). وحينما تفعل ذلك، تأكد بأنك لن تجد فرحاً أعظم من أن ترى أبناءك يسلكون في الحق (3 يوحنا 4)!

إن بقيت معي بين دفَّتي هذا الكتاب، فسوف تتعلم دروساً ثمينةً من كلمة الله، وسوف تتشجَّع على تطبيق هذه الأمور في حياتك الشخصية. وبنعمة الله، سوف يصبح لديك توق شديد لأن تحيا حياةً مُمتلئةً بالكلمة سواء كنت رجلاً أو امرأةً، وأن تعيش زواجاً مُمتلئاً بالكلمة سواء كنت زوجاً أو زوجةً، وأن تُنشئ عائلةً مُمتلئةً بالكلمة سواء كنت أباً أو أمَّاً، وأن تُمارسا حياة صلاةٍ مُمتلئةٍ بالكلمة كزوجين تعيشان معاً في وحدانية القلب والعقل. وإنني أُصلِّي من أعماق قلبي أن تتخذ قرارك الآن بالسماح لكلمة الله أن تملأ حياتك!

بالإيمان فقط يمكننا أن نصبح في المسيح!
بالنعمة فقط يمكننا أن نواصل سيرنا مع المسيح!
بالحياة المُمتلئة بالكلمة فقط يمكننا أن نصبح كل ما يريدنا الله أن نكونه!

جون بارنيت
تولسا، أوكلاهوما
إبريل/نيسان 2004

"لأَنْ مَنْ هُوَ رَجَاؤُنَا وَفَرَحُنَا وَإِكْلِيلُ افْتِخَارِنَا؟ أَمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ؟ لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ مَجْدُنَا وَفَرَحُنَا".

- 1 تسالونيكي 2: 19-20

الحياة المُمتلئة بالكلمة تعني أن نعيش أفضل حياة مُمكنة. إن كنا نريد أن نحيا حياةً مُمتلئة بالكلمة فهذا يتطلب منا: أن ندعو الله للتكلم، وأن نطلب مشورته ومعونته الإلهية، وأن نسعى إلى حِكمته الصالحة وتدخُّله الخارق للطبيعة، وأن نتجاوب مع عمل الروح القُدس. كما أنه يعني أن نجعل أنفسنا على اتصال دائم بمصدر الحياة (الله)، وأن نستخدم الخريطة التي قدَّمها لنا، وأن نتبع الإرشادات المُدوَّنة في كتابه، وأن نُصغي إلى التعليمات التي أعطانا إيَّاها للاسترشاد بها في حياتنا اليومية. وهكذا، فإنَّ الحياة المُمتلئة بالكلمة تعني أن ندعو الله إلى التحدث، وأن نُرحِّب بمُساعدته، وأن نسعى لمعرفة مشيئته، وأن نطلب مشورته، وأن نحصل على معونته، وأن نُظهر تبجيلنا له، وأن نُشاركه في أدوارنا كآباء وأمهات، ***وأن نُطلق له العنان في كل جانبٍ من جوانب حياتنا.***

الفصل 1: السلوك الممتلئ بالكلمة.
الفصل 2: نساء مُفعمات بالرجاء.
الفصل 3: صفات الرجل المُمتلئ بالكلمة.
الفصل 4: أجمل نساء العالم على الإطلاق.
الفصل 5: إكمال السعي.